﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: 1 - 3]

❁ مُناسَبَةُ السّورةِ لِما قَبْلَها:

الانتقال من صورةِ المكذّب بالدّين إلى صورة الصّادق الأمين

مناسبةُ السّورةِ لما قبلها أنَّه سبحانَه وصفَ في السّورةِ السّابقة الَّذي يُكذِّب بالدّين بأمورٍ أربعَ (البخلُ، والإعراضُ عن الصَّلاة، والرّياء، ومنعُ المعونة)، وهنا وصفَ ما منحَهُ رسولَهُ ﷺ من الخير والبركة، فذكرَ أنَّه أعطاهُ (الكوثرَ، وهو الخيرُ الكثير، والحرصَ على الصَّلاة ودوامِها، والإخلاصَ فيها، والتّصدُّقَ على الفُقراء)، فقابلَ أربعًا بأربع[1]، فقد ذكرَ الله في هذه السّورة في مقابلةِ البُخل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، وفي مقابلةِ تركِ الصَّلاة ﴿فَصَلِّ﴾ أي: دُمْ على الصَّلاة، وفي مقابلة الرّياءِ ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي: لِرضا رَبِّك لا لِرضا النّاس، وفي مُقابلةِ منعِ الماعون: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ وأرادَ به سبحانه التّصدُّقَ بلحومِ الأضاحي[2].

ولمّا عرضتِ السّورةُ السّابقةُ صورةَ المُكذِّب بالدّين للنَّبيِّ الكريم ﷺ فأعقَبَهُ بعرضِ صورةِ المُصدِّق بالدّين، ولمّا كانَ أعظمُ المصدِّقين بالدّين وسيِّدُهم على الإطلاق هو سيِّدَنا محمدًا ﷺ خصّهُ الله بأعلَى درجاتِ الإكرامِ والإعطاء.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾: (كثر) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خلافِ القلَّة، من ذلك الشّيءُ الكثير، وقد كَثُر، ثمَّ يُزادُ فيه للزّيادةِ في النّعت، فيقال: الكَوْثَر، الرّجلُ المِعطاء، وهو (فَوْعَلٌ) منَ الكَثرة، والكوثرُ: نهرٌ في

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 374.
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2030.

الجنّة، قالوا: أرادَ الخيرَ الكثيرَ، والكوثَرُ: الغُبار، سُمّي بذلك لكثرتِهِ وثَوَرانِه[1]، وكَثُر الشّيءُ يكثُرُ كَثرةً، والكسرُ قليلٌ، ويقال: هو خطأٌ، ويتعدّى بالتّضعيف والهَمزة، فيقال: كثّرْتُهُ وأكثرْتُهُ، واستكثرتُ منَ الشّيءِ إذا أكثرتُ فعلَهُ، واستكثرتُهُ: عَدَدْتُهُ كَثيرًا، والكَوثرُ: العدَدُ الكثيرُ[2]، قال الرّاغبُ: إنّ الكثرةَ والقلّة يُستعملانِ في الكمّيّة المنفصلة كالأعداد[3]، فالكثرةُ تُقابلُ القلّة، وأكثرُ استعمالِها في الكمّيّة والمِقدار، والكَوثرُ والمِكثارُ للمبالغة، زيدتِ (الواو) لتدلَّ على الزّيادةِ والمُبالغة في المَعنى، ومعناهُ مطلقٌ، ويشملُ كلَّ ما يُناسِبُ مَقامه، من كلّ خيرٍ وصلاحٍ[4]، واختُلف في بيان المُراد بالكَوْثَرِ؛ فقيل: الإسلامُ والنُّبوَّةُ، وقيل: القرآنُ، وقيل الشَّفاعةُ العُظمى لأُمَّتِه، وقيل: الخَيْرُ الكَثيرُ الّذي يُعطيه اللّه أُمَّتَه يومَ القيامَة، ونهرٌ في الجَنَّة، يَتَفَجَّر مِنْهُ جَميعُ أنهارِها، وهوَ للنَّبي صلّى اللّه تَعالَى عَلَيْهِ وسلَّم خاصَّة، وبِه فُسِّرت الآيةُ، وجاءَ في صِفَتِهِ أنَّهُ أشدُّ بَياضًا من اللَّبَن، وأحْلَى من العَسَل، حافَتُه قِباب الدُّرِّ المُجَوَّف[5]، وكلُّ ذلك من الخير الكثير، ولا يمنع أن يكون جميعُ المذكورِ وغيره من الخير الَّذي أعطاه اللّه لنبيّه ﷺ داخلًا في مفهوم اللَّفظ.

2) ﴿وَٱنْحَرْ﴾: (نحر) كلمةٌ يتفرّعُ منها كلماتُ الباب، هي النّحرُ للإنسانِ وغَيره، والجمعُ نُحور، ونَحَرْتُ البعيرَ نحرًا، والنّاحِرانِ عِرْقانِ في صَدر الفرس، وانتَحَروا على الشّيء: تشاحّوا عليه حِرْصًا، كأنّ كلَّ واحدٍ منهم يريدُ نَحْرَ صاحبِه، ويقالُ النَّحيرة: آخِرُ يوم من الشَّهر؛ لأنّه ينحَرُ الّذي يدخُلُ، والعالمُ بالشَّيءِ المُجرِّب: نِحرير، إنّه ينحَرُ العلْم نَحْرًا[6]، والمرادُ به في الآية: التَّصدُّقُ على الخلقِ بالإنفاق ممّا يَنحَرُ منَ البُدْن.

3) ﴿شَانِئَكَ﴾: (شنئ) أصلٌ يدلُّ على البُغضةِ والتَّجنُّبِ للشَّيءِ، من ذلك الشَّنوءةُ، وهي التّقزّزُ، ويقالُ: شَنِئَ فلانٌ فُلانًا: إذا أبغضَهُ، وهو الشّنآنُ، ورُبَّما خفّفوا فقالوا: الشّنْآنُ، ورجلٌ مِشناءٌ إذا كان يَبغضُهُ النّاسُ[7]، وشَنِئْتُهُ: تقذّرْتُهُ بُغضًا له، وقوله: ﴿شَنَـَٔانُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كثر).
(2) الفيّوميّ، المصباح المنير: (كثر).
(3) الرّاغب، المفردات: (كثر).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 10/ 25.
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (كثر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نحر).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شنئ).

قَوْمٍ﴾ [المائدة: 2]، أي: بغضُهُم، وقُرِئَ (شَنْآنُ)، فمَنْ خفّفَ أرادَ بغيضَ قوم، ومَن ثقّل جعلَهُ مَصدرًا[1]، وعن ابنِ السكّيت: الشّانئُ: المُبغِضُ، وقالَ اللَّيثُ: رجلٌ شناءَةٌ وشنائيةٌ: مُبغّضٌ سيّئ الخلُق[2]، وشَنِئْتُهُ أشنَؤُهُ من بابِ (تعِبَ) شَنْأً وشَنَآناً بفتحِ النّونِ وسُكونها: أبغضتُهُ، والفاعلُ شانِئٌ، وشانِئةٌ في المؤنّث، وشَنِئْتُ بالأمرِ: اعترفتُ بهِ[3]، والمرادُ بهِ في الآية: المُبغِضُ المُتجنِّبُ تقزُّزًا ولذا كانَ سَيِّءَ الخُلُق.

4) ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: (بتر) أصلٌ واحدٌ وهو القطعُ قبلَ أنْ تُتمَّهُ[4]، والبَترُ يقاربُ ما تقدّمَ (بَتَك)، لكن يُستعمَلُ في قطعِ الذّنَبِ ثمّ أُجريَ قطعُ العَقِب مُجراه، فقيل: فلانٌ أبترُ إذا لم يكنْ له عَقِبٌ يخلِفُهُ[5]، وبَتَرَهُ بَتْرًا مِن بابِ (قتلَ) قطعَهُ على غيرِ تَمام، ويقالُ في لازمِهِ: بَتِرَ يبتَرُ من بابِ (تعِبَ) فهو أبتَرُ، والأُنثى بَترى[6]، وبَتَرتُ الشَّيءَ بَتْرًا قطعتُهُ قبلَ الإتمام، والأبتَرُ المقطوعُ الذّنَب، والأبترُ الّذي لا عَقِبَ لهُ وكلُّ امرئٍ انقطعَ منَ الخيرِ أثَرُهُ[7]، فالمادّةُ يُستفاد منها القطعُ في قبالِ الإتمام، والمرادُ به في الآية: المقطوعُ الذِّكر والنَّسْل.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كـمالُ الإكـرام، يَقتضي الارتباطَ بالمَلِك العلّام

تُبيِّن السّورةُ الكريمةُ ما أعطاه اللّه ﷻ لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ من الخيرِ الكثير الدّائم الَّذي لا ينقطِعُ في الدُّنيا ولا في الآخِرة، وما تأمره من الصَّلاة للّه الَّذي أعزَّه بإعطائِهِ، وشرّفَه وجعلَه أشرفَ قومه الَّذين يَعبدونَ غيرَ اللّه، والنّحر لوجهِهِ واسمِهِ تعالى، وبعدَ أنْ بَشَّر اللّه رسولَهُ بأعظمِ البِشارة، وطالبَهُ بشُكرِهِ على ذلك، وكانَ مِن

(1) الرّاغب، المفردات: (شنِئَ).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (شنِئَ).
(3) الفيّوميّ، المصباح المنير: (شنِئَ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بتر).
(5) الرّاغب، المفردات: (بتر).
(6) الفيّوميّ، المصباح المنير: (بتر).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (بتر).

تمام نعمتِهِ على نبيِّه أنْ يُصبِحَ عدوُّهُ مَقهورًا ذليلًا، أي: إنَّ مُبغضَكَ وعدوَّك هو الأبتَرُ الَّذي لا عَقِبَ له، لا يبقَى له نسلٌ ولا حُسْنُ ذكرٍ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة افتتاح السّورة بالتّوكيدِ:

تـوكـيـدُ الـكـلام والخَبَر، للتّنويهِ بـشَـأنِ سـيِّـدِ البَشَر

ابتدأتِ السّورةُ الكريمةُ بالتّوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ لتوكيدِ الحُكمِ الصّادق الّذي لا يتخلّف مدلولُهُ تنويهًا بشأنِ النَّبيِّ الكريم ﷺ وتبشيرًا له بما أعدّه لهُ، والمقصودُ بالتَّوكيدِ هو بيانُ قوّة هذا الخبر ويقينيّة وقوعه، بقطع النّظر عن وجودِ منكرٍ له أو مثبت، ولذا صُدِّرت به السّورة لجريانه "مُجْرَى القَسَم، وكَلامُ الصّادقِ مَصونٌ عَنِ الخُلْف، فكَيْفَ إذا بالَغَ في التَّأكيد"[2]، وغرضُ افتتاحِ الكلام بحرفِ التَّأكيد؛ "للاهتمام بالخبر، والإشعارِ بأنَّهُ شَيْءٌ عَظيمٌ يَسْتَتْبِعُ الإشْعارَ بتَنْويهِ شَأْنِ النَّبيِّ ﷺ، والكَلامُ مَسوقٌ مَساقَ البِشارَةِ وإنشاءِ العَطاء لا مساقَ الإخْبارِ بعَطاءٍ سابقٍ"[3].

نكتةُ التّعبيرِ بضَميرِ الجَمْع:

عَظَمَةُ الواهِب، دالّـةٌ على رِفعةِ الجانِب

جاء التّعبيرُ بضَميرِ المتكلِّم في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾؛ للدِّلالةِ به إمّا على المعنى الحقيقيِّ إنْ كان المُعطي اللّه تعالى ومَن سعَى في تحقيقِ الإعطاءِ من الملائكةِ الكِرام، أوْ على المَعنى المجازيِّ المُفيدِ للتَّعظيم؛ للتَّنبيهِ على عظَمةِ العطيَّة بطريقِ اللُّزومِ مِن عظَمةِ المُعطي تعالى[4].

نكتةُ تقديمِ المُسنَدِ إليه على المسند الفِعليّ:

حَـضْـرُ الـعـطـاءِ بالعَظيم يفيدُ كمالَ التّشريفِ والتَّعظيم

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ المسندَ إليه (نا) على الخبرِ الفعليِّ (أعطينا) في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾؛ للدِّلالة على

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2031 - 2033.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 311، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 377، 386.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 572.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 311.

الحَصْر والقصْر للإعطاءِ بالذّات الجليلة، وهو مِن حَصْرِ الصِّفة في الموصوف، والمَعنى أنَّ الإعطاءَ مُنحصِرٌ ومقصورٌ علينا لا على غَيرنا، كما يفيدُ التَّقديمُ تشويقًا للحدث، واهتمامًا بالذّات الصّادرِ منها الحدث؛ إعلاماً أنَّ العظيم لا يصدُرُ منه إلّا الفعلُ العظيم، مع ما في ذلك التّقديم من التّوكيد[1].

بلاغة التَّعبير بمفردة (الإعطاء) دون (الإيتاء):

في مَقامِ التّبشير والتّفضُّل، يُستعمَلُ الإعطاءُ بلا تمهُّل

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بفعلِ (الإعطاء) دونَ فعلِ (الإيتاء) في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾؛ لأنَّ: "الإيتاءَ يحتَمِلُ أنْ يكونَ واجبًا وأن يكونَ تفضُّلًا، وأمّا الإعْطاءُ فإنَّهُ بالتَّفَضُّلِ أشْبَهُ؛ فقَوْلُهُ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ يَعْني هَذِهِ الخَيْراتُ الكَثيرَةُ وهيَ الإسْلامُ والقُرْآنُ والنُّبوَّةُ والذِّكْرُ الجَميلُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، مَحْضُ التَّفَضُّلِ مِنّا إلَيْكَ، ولَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى سَبيلِ الاسْتِحْقاقِ والوُجوبِ، وأنَّ الإعْطاءَ يُسْتَعْمَلُ في القَليلِ والكَثيرِ، أمّا الإيتاءُ، فلا يُسْتَعْمَلُ إلّا في الشَّيْءِ العَظيمِ، والأتيُّ السَّيْلُ المُنْصَبُّ، فقَوْلُهُ: إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ يُفيدُ تَعْظيمُ حالِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ وُجوهٍ أحَدُها: يَعْني هَذا الحَوْضُ كالشَّيْءِ القَليلِ الحَقيرِ بالنِّسْبَةِ إلَى ما هوَ مُدَّخَرٌ لَكَ مِنَ الدَّرَجاتِ العاليَةِ والمَراتِبِ الشَّريفَةِ، فهوَ يَتَضَمَّنُ البِشارَةَ بأشْياءَ هيَ أعْظَمُ مِنْ هَذا المَذْكورِ"[2].

بلاغة التَّعبير بصيغة الماضي:

العطاءُ الإلهيُّ للمُستأهِلين، يَتَحقَّقُ بكَمالِهِ في رَسولِهِ الأمين

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبير بفعل (الإعطاء) ماضيًا مَزيدًا بالهمزةِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾؛ للدّلالة بصيغتِه الماضويَّة على تحقُّقِ الوقوع[3]، وأنَّ ذلك الإعطاءَ ثابتٌ أزَلًا لا يتخلَّفُ وقوعُهُ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 311.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 313.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 377.

فلا مجالَ للشَّكِّ فيه أوْ للتَّردُّدِ في حُكمِهِ، فإنَّه واقعٌ مقطوعٌ بحصولِهِ، وأفادَتِ الهمزةُ تحقيقًا لمعنى التَّعدية والجَعْل، والتَّقديرُ: جَعَلنا الكوثرَ مُعطًى لك، وللدّلالة بمادَّتِه على المنحِ والعطاء وكمالِ الكرم الإلهيِّ الَّذي لا يمكنُ مقابلةُ عطائِهِ وكرَمِه، وقد جاء فعل الإعطاء مضارعًا في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى: 5]؛ لأنَّ المنظورَ إليه التَّمكُّنُ والاستيلاء، وذلك يكونُ في المستقبلِ[1].

دلالةُ الإسنادِ إلى ضَميرِ الجَمْعِ:

عَـظَـمـةُ المَـنْـحِ المُـغْـنـي مـن عَـظَـمةِ الكريم المُعطي

أسندَ النّظمُ الكريمُ فعلَ (الإعطاء) إلى ضميرِ المتكلِّم في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾؛ للدّلالة على التَّعظيم للواهبِ المُنعِم العَظيم، والغرضُ من تعظيم ذاتِهِ الجليلة بيانُ عَظمةِ ذلك الإعطاءِ[2]، المُستلزمِ تفخيمَ شأنِ المُعطَى ﷺ[3]؛ إذ استشعارُ صُدورِ هذا العطاء مِن خالق السَّموات والأرض كافٍ لمعرفةِ جلال ذلك العطاءِ وفَخامةِ شأنِ المُعطى، "فالكَوْثَرُ وإنْ كانَ في نَفْسِهِ في غايَةِ الكَثْرَةِ، لَكِنَّهُ بسَبَبِ صُدورِهِ مِنْ مَلِكِ الخَلائِقِ يَزْدادُ عَظْمَةً وكَمالًا"[4].

دلالةُ التَّعبيرِ بضَميرِ المُخاطَبِ:

أعـظـمُ درجـاتِ الحُبِّ، المُخاطَبةُ بلذَّةِ القُرب

جاء التّعبيرُ بضَميرِ المُخاطب في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾؛ للدّلالة على حضورِه لدى المتكلِّم حُضوراً استدعَى خِطابَهُ، والغرضُ من الاستحضارِ لذاتِهِ الشَّريفة ﷺ عندَ الخِطاب بيانُ قُربِهِ المعنويِّ مِن خالقِهِ ومُصطفاه قربَ المخاطَب من المُخاطِب، إشارةً لمَدى حُبِّهِ له ورِعايته وعِنايتِهِ به، فكما عظَّم المَولى الجليلُ من ذاتِهِ عظّمَ مِن ذاتِ حبيبِهِ بأنْ جعلَهُ مُخاطَبًا قريبًا منهُ قُرْبًا معنويًّا.

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 381.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 572.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 387.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 311.

سرُّ إيرادِ الضَّمير دونَ الاسمِ الظّاهِر:

الحبُّ العظيم، لـذاتِ الـرَّسـولِ الكَريم

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ عن المعطى بالضَّمير الدّال على الذّات دون الاسم الظّاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ ولم يقل: "أعطَيْنا الرَّسولَ أو النَّبيَّ أو العالمَ أو المُطيعَ؛ لِأنَّهُ لَوْ قالَ ذَلِكَ لَأَشْعَرَ أنَّ تِلْكَ العَطيَّةَ وقَعَتْ مُعَلَّلَةً بذَلِكَ الوَصْفِ، فلَمّا قالَ: ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ عُلِمَ أنَّ تِلْكَ العَطيَّةَ غَيْرُ مُعَلَّلَةٍ بعِلَّةٍ أصْلًا، بَلْ هيَ مَحْضُ الاخْتِيارِ والمَشيئَةِ"[1]، وللدّلالة على الحبِّ العظيم لتلك الذّاتِ مجرَّدةً مِن كلِّ وصفٍ فيها، وكيفَ لا، وذاتُهُ الشَّريفةُ مخلوقةٌ على أعلى الفضائلِ والسِّمات مِن خالقِهِ العَظيم.

معنى تعريفِ لفظ ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾:

مِـن مُـلائـمـات المَـقـام، الحكمُ عـلـــى (أل) بـالاسـتـغـراقِ العامِّ

عرّفَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ بـ(أل) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾؛ للدلالة به إمّا على الاستغراقِ الصّادقِ بالكثرة في كلِّ شيءٍ من النَّهر العظيم المسمَّى بالكوثر، والعِلْم والنُّبوَّةِ والقرآنِ والإسلامِ والأولاد، أوْ للدّلالة به على العهدِ المتحقِّقِ بالنَّهَر المسمَّى بالكوثرِ فحسبُ[2]، "وَمِنْ لَطائِفِ هَذِهِ السّورَةِ أنَّ كُلَّ أحَدٍ مِنَ الكُفّارِ وصَفَ رَسولَ اللّه ﷺ بوَصْفٍ آخَرَ، فوَصَفَهُ بأنَّهُ لا ولَدَ لَهُ، وآخَرُ بأنَّهُ لا مُعينَ لَهُ ولا ناصِرَ لَهُ، وآخَرُ بأنَّهُ لا يَبْقَى مِنْهُ ذِكْرٌ، فاللّه سُبْحانَهُ مَدَحَهُ مَدْحًا أدْخَلَ فيهِ كُلَّ الفَضائِلِ، وهوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ لِأنَّهُ لَمّا لَمْ يُقَيِّد ذَلِكَ الكَوْثَرَ بشَيْءٍ دونَ شَيْءٍ، لا جَرَمَ تَناوَلَ جَميعَ خَيْراتِ الدُّنْيا والآخِرَةِ"[3].

الاتِّـهـامُ لـهُ بالأبتَر، استدعَى تبشيرَهُ بالكَوثَر

ويحتمل لفظ ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ الدّلالةَ على المعنى الحقيقيِّ الوَضعيِّ العامّ، وهي الكثرةُ المُفرطةُ في كلِّ شيءٍ، حتَّى لا يكونَ مُحتاجًا لأحدٍ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 311.
(2) المظهريّ، تفسيره: 10/ 352.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 322.

إلّا لله تعالى، فالكوثرُ "فوعلٌ من الكثرةِ، كنوفلٍ من النّفل، والعربُ تُسمّي كلَّ شيءٍ كثيرٍ في العدَدِ أو كثيرٍ في القَدْرِ والخطَر كوثرًا"[1]، ويحتمل الدّلالةَ على المعنى الحقيقيِّ الخاصّ، وهو النّهرُ المعروفُ بالكوثَر في الجنَّة، فيكون علَمًا عليه مُعرَّفًا بـ(أل)، "وَلَعَلَّهُ إنَّما سُمّيَ ذَلِكَ النَّهْرُ كَوْثَرًا؛ إمّا لِأَنَّهُ أَكْثَرُ أَنْهارِ الجَنَّةِ ماءً وخَيْرًا، أَوْ لِأَنَّهُ انْفَجَرَ مِنْهُ أَنْهارُ الجَنَّةِ، أَوْ لِكَثْرَةِ الَّذينَ يَشْرَبونَ مِنْها، أَوْ لِكَثْرَةِ ما فيها مِنَ المَنافِعِ"[2].

بلاغة التَّعبيرِ بالكَوثَر مادَّةً وصيغةً:

الـكـثرةُ الـكـاثـرةُ تُنبئُ عنِ الوَفرةِ الباهِرة

جاء التّعبيرُ بلفظِ ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾؛ للدّلالة بمادَّته على الكَثرة؛ إذ الكوثَرُ مشتقٌّ من الفعلِ الدّالِّ على الكَثرة، وللدّلالةِ بصيغةِ (فَوْعَل) على الكثرةِ؛ لأنَّها "مُعتبرةٌ في مَفهومِ ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾؛ لأنَّه (فوعَلٌ) من الكثرةِ، يفيدُ المُبالَغَةَ؛ لكثرةِ حُروفِهِ بزيادةِ الواوِ"[3]، فالكَوْثَر "اسْمٌ في اللُّغَةِ لِلْخَيْرِ الكَثيرِ صيغَ عَلَى زِنَةِ فوْعَلٍ، وهيَ مِنْ صيَغِ الأَسْماءِ الجامِدَةِ غالِبًا نَحْوَ الكَوْكَبِ، والجَوْرَبِ، والحَوْشَبِ والدَّوْسَر، ولا تَدُلُّ في الجَوامِدِ عَلَى غَيْرِ مُسَمّاها، ولَمّا وقَعَ هُنا فيها مادَّةُ الكُثْرِ كانَتْ صيغَتُهُ مُفيدَةً شِدَّةَ ما اشْتُقَّتْ مِنْهُ بناءً عَلَى أنَّ زيادَةَ المَبْنَى تُؤْذِنُ بزيادَةِ المَعْنَى، ولِذَلِكَ فسَّرَهُ الزَّمَخْشَريُّ بالمُفْرِطِ في الكَثْرَةِ، وهوَ أَحْسَنُ ما فُسِّرَ بِهِ وأَضْبَطُهُ، ونَظيرُهُ: جَوْهَرٌ، بمَعْنَى الشُّجاعِ كَأَنَّهُ يُجاهِرُ عَدوَّهُ"[4].

نكتةُ استعمال لفظ ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ في أقصَرِ سورة:

أقـصَـرُ الـسّـوَر اشـتـمـلـت على أعـظـم الألـفـاظ وأكثر المعاني

عبّر النَّظمُ الكريمُ بلفظ ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ مع أنَّها أقصَرُ سورةٍ من سوَرِ القرآنِ الكريم؛

(1) المظهريّ، تفسيره: 10/ 352، والواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 372.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 313.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 457.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 573.

للدّلالة على أنَّها وإنْ كانت أقصَرَ سورة إلّا أنَّها كوثرٌ بالمعاني والدِّلالات والمضامين، وأنَّها وإنْ كانت أقصرَ سورةٍ إلّا أنَّها شَرّفتِ النَّبيَّ العظيم ﷺ بتشريفاتٍ ذاتِ كثرةٍ مُفرطةٍ لا يمكنُ جمعُها ولا إحصاؤُها، وأنَّ هذا النَّظمَ المتحدَّى به فحولُ فصحاءِ العَرب، يشتملُ في أقصرِ سوَرِهِ على نظمٍ يَعجَزُ أولئك عن مُعارضتِهِ؛ لما فيه من ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ في الدّلالات والمَعاني والمَضامين.

نوع الفاء ودلالتها:

الانشغالُ بالمُعطي وعدمُ المُبالاة بالمُبغض الشاني

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ للتَّفريع، والجملةُ اعتراضيّةٌ بينَ خبرينِ[1]؛ هما: إعطاؤُهُ الكوثرَ والوعدُ بأنَّ مُبغِضَه هو الأبتر، والغرضُ من الاعتراضِ الدّلالةُ على أهميَّة شُكر المُنعِم الحقيقيِّ وتوحيدِهِ بالعبادةِ بعدَ ذلك الإعطاءِ الكثيرِ، والتّعريضِ بما يفعلُهُ الكارهون من شركٍ أثناءَ صَلاتِهم وتقديمِ نُسُكِهم، كما دلَّت الفاء على التّعقيبِ والتّسبُّب، أي: "تَسَبَّبَ عن هذه المِنَّةِ العظيمة وعَقَبَها أمْرُك بالتخَلّي لعبادةِ المُنعِمِ عليكَ وقَصْدِك إليه بالنَّحْرِ، لا كما تفعلُ قُرَيْشٌ مِنْ صَلاتِها ونَحْرِها لأصنامِها"[2]، فأفادت "سَبَبِيَّةَ أمْرَيْنِ؛ أحَدُهُما: سَبَبِيَّةُ العِبادَةِ؛ كَأنَّهُ قيلَ: تَكْثيرُ الإنْعامِ عَلَيْكَ يوجِبُ عَلَيْكَ الاشْتِغالَ بالعُبوديَّةِ، والثّاني: سَبَبِيَّةُ تَرْكِ المُبالاةِ كَأنَّهُمْ لَمّا قالوا لَهُ: إنَّكَ أبْتَرُ فقيلَ لَهُ: كَما أنْعَمْنا عَلَيْكَ بهَذِهِ النِّعَمِ الكَثيرَةِ، فاشْتَغِلْ أنْتَ بطاعَتِكَ ولا تُبالِ بقَوْلِهِمْ وهَذَيانِهِمْ"[3].

غرضُ الأمرِ ودلالته:

وجوبُ التّوحيدِ في الشُّكر لأنَّهُ المُنفردُ بالإنعامِ والأمْر

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بفعلِ (الصَّلاة) أمْرًا في قولِهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾؛ للدّلالة على الأمْرِ الحقيقيِّ؛ لأنَّهُ مُتفرِّعٌ عنِ الإنعام

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 574.
(2) السّمين، الدّرّ المصون: 11/ 130.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 319.

والعطيَّةِ العَظيمة؛ "فإنَّ وجوبَ الشُّكرِ مُسبَّبٌ عنِ الإنعام؛ فالأمرُ هنا للوُجوب"[1]، ودلَّ الأمرُ بالصّلاةِ على الدَّوام على الصَّلاة؛ لأنَّ النَّبيَّ الكريم كانَ يُصلّي للّه تعالى[2]، وإنْ فُسِّرَتِ الصَّلاةُ بصَلاةِ العيد "بقرينةِ ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ وفُسِّرَ النّحرُ بالتَّضحية، فيكون الأمرُ بالصَّلاة عَلَى حالِها، ولا يحتاجُ إلَى الأمرِ بالدّوام، ولا يكون الأمرُ للوُجوب"[3].

توجيه الأمر بالصّلاة دون الأمر بالشُّكر:

لسائلٍ أنْ يسألَ عن سببِ الأمرِ بالصَّلاةِ دون الأمرِ بالشُّكر وهو اللّائقُ عند النِّعْمَةِ "فَلِمَ قالَ: ﴿فَصَلِّ﴾ ولَمْ يَقُلْ: (فاشْكُرْ)؟ الجَوابُ: أنَّ الشُّكْرَ عِبارَةٌ عَنِ التَّعْظيم، ولَهُ ثَلاثَةُ أرْكانٍ، أحَدُها: يَتَعَلَّقُ بالقَلْبِ وهوَ أنْ يَعْلَمَ أنَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ مِنْهُ لا مِنْ غَيْرِهِ، والثّاني: باللِّسانِ وهوَ أنْ يَمْدَحَهُ، والثّالِثُ: بالعَمَلِ وهوَ أنْ يَخْدِمَهُ ويَتَواضَعَ لَهُ، والصَّلاةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى هَذِهِ المَعاني، وعَلَى ما هوَ أزْيَدُ مِنْها، فالأمْرُ بالصَّلاةِ أمْرٌ بالشُّكْرِ وزيادَةٌ، فكانَ الأمْرُ بالصَّلاةِ أحْسَنَ، وأنَّهُ لَوْ قالَ: (فاشْكُرْ) لَكانَ ذَلِكَ يوهِمُ أنَّهُ ما كانَ شاكِرًا، لَكِنَّهُ كانَ مِنْ أوَّلِ أمْرِهِ عارِفًا بِرَبِّهِ مُطيعًا لَهُ شاكِرًا لِنِعَمِهِ، أمّا (الصَّلاةُ) فإنَّهُ إنَّما عَرَفَها بالوَحْيِ"[4].

من أعظمِ صوَرِ الشُّكرِ والدُّعاء، السُّجودُ لربِّ الأرض والسَّماء

غرض تقديم الأمرِ بالصَّلاة على الأمر بالنّحر:

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ الأمرَ بالصَّلاة على الأمرِ بالنّحرِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾؛ لما يقتضيه الظّاهر من أهميَّةِ الصَّلاة ومكانتها في الإسلام؛ إذ هي عنوانُ الارتباط والتَّعلُّقِ باللّه تعالى، فإنْ قَويَتِ العلاقةُ سهُلَ على القلب أداءُ النُّسُك والتَّصدُّقُ بالأضاحي المَنحورة.

عندَ تقويةِ الارتباط، يَسهُلُ بذلُ المالِ بكلِّ نَشاط

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 460.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 459.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 461.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 317.

دلالةُ حذفِ متعلَّقِ فعلِ الصَّلاة:

الأبترُ هو الَّذي لا يَبقى له بينَ النّاسِ خَبَر

حُذِفَ مُتعلَّق فعلِ (الصَّلاة) في قولِه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾؛ لدلالةِ السّياق عليه، أي: صلِّ الصّلاة كلَّها لربِّك، أو لخصوص صلاةِ العيد، إذ المقصودُ شكرُ نعمةِ إعطاءِ الكوثر ردًّا على مَن اتَّهمَهُ بالأبتر، والشُّكرُ يكونُ بالتَّقرُّبِ إلى الله تعالى من خلالِ الصَّلاة لله تعالى وحدَه والزّكاة له تعالى وحدَه بتقديمِ القرابينِ لمَوْلاه الغنيِّ، فيكون ردًّا عميقًا على المتَّهمينَ له بانقطاعِ الذِّكْر لفقدِ الوَلَد، من خلال إبقاءِ ذكرِهِ بالعمَلِ الصّالح والكرم الماليِّ، وأنَّ الولد لا يُبقي الذِّكر بلِ الخلقُ الكريم والعمَلُ الطيِّبُ هو الَّذي يُبقيه.

نوع اللّام ودلالتها:

التَّعريضُ بالمُشركين والتّهكُّمُ بالمُرائين

اللّام في قولِه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾؛ للاختصاصِ والانحصار؛ ففيه تعريضٌ بالَّذين يُصَلّونَ للأصنام أوْ يُراؤونَ النّاسَ في صَلاتِهم، فلا يبتغونَ بها وجهَ الله تعالى، فيكونُ الأمر بالصَّلاة الخالصةِ لله تعالى في مُقابلةِ المُرائينَ فيها دونَ السّاهينَ عنها[1]، أي: "فاعبُدْ ربَّك الّذي أعزَّك بإعطائِهِ وشرَّفك وصانَك وجعلَك أشرفَ قومِك الَّذين يعبدونَ غير الله"[2].

فائدةُ الإظهار بعد الإضمار:

تعليلُ الأمرِ بالعِبادة للإقناعِ والإفادة، ودفعِ الاحتمال في مسالك الاستدلال

عدلَ النَّظمُ الكريمُ عن التَّعبيرِ بضميرِ المتكلِّم إلى التَّعبيرِ بالاسم الظّاهر الوصفِ في قولِه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾؛ ولم يقُل: (فصلِّ لنا)؛ وذلك "لِما في لَفْظِ (الرَّبِّ) مِنَ الإيماءِ إلَى اسْتِحْقاقِهِ العِبادَةَ لِأجْلِ رُبوبيَّتِه، فضْلًا عَنْ فرْطِ إنْعامِه"[3]، ولأنَّه يوجِبُ عظمةً ومَهابة، وحثًّا على فعلِ المأمور به؛ لأنَّ مَن يُربّيك يَستحِقُّ العبادةَ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 459.
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2032.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 574.

منك[1]، كما أنَّ "كَلِمَة ﴿إِنَّآ﴾ تَحْتَمِلُ الجَمْعَ كَما تَحْتَمِلُ الواحِدَ المُعَظِّمَ نَفْسَهُ، فلَوْ قالَ: (صَلِّ لَنا)، لَنُفِيَ ذَلِكَ الاحْتِمالُ وهوَ أنَّهُ ما كانَ يَعْرِفُ أنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ للّه وحْدَهُ أمْ لَهُ ولِغَيْرِهِ عَلَى سَبيلِ التَّشْريكِ، فلِهَذا تَرَكَ اللَّفْظَ، وقالَ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾؛ ليَكونَ ذَلِكَ إزالَةً لِذَلِكَ الاحْتِمالِ، وتَصْريحًا بالتَّوْحيدِ في الطّاعَةِ والعَمَلِ للّه تَعالَى"[2].

بلاغة التّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة:

عبَّرَ النّظمُ الكريم بلفظِ الرّبوبيَّة دون الاسمِ العلَم الجليل في قولِهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾؛ للدّلالة على أنَّ لَفْظَ (الرَّبِّ) "يُفيدُ التَّرْبِيَةَ المُتَقَدِّمَةَ المُشارَ إلَيْها بقَوْلِهِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، ويُفيدُ الوَعْدَ الجَميلَ في المُسْتَقْبَلِ أنَّهُ يُرَبّيهِ ولا يَتْرُكُهُ"[3]، كما: "نَبَّهَ بلَفْظِ (الرَّبِّ) عَلَى عُلوِّ حالِهِ في المَعادِ، كَأنَّهُ يَقولُ: كُنْتُ رَبَّيْتُكَ قَبْلَ وُجودِكَ، أفَأتْرُكُ تَرْبِيَتَكَ بَعْدَ مواظَبَتِكَ عَلَى هَذِهِ الطّاعاتِ، ثُمَّ كَما تَكَفَّلَ أوَّلًا بإفاضَةِ النِّعَمِ عَلَيْهِ تَكَفَّلَ في آخِرِ السّورَةِ بالذَّبِّ عَنْهُ، وإبْطالِ قَوْلِ أعْدائِهِ، وفيهِ إشارَةٌ إلَى أنَّهُ سُبْحانَهُ هوَ الأوَّلُ بإفاضَةِ النِّعَمِ، والآخِرُ بتَكْميلِ النِّعَمِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ"[4].

الوعدُ بالرِّعاية مِن كَمالِ العِنايَة، والحمد على العطاء من مفاخر العظماء

دلالةُ إضافةِ لفظ الرّبوبيّة إلى الضَّمير:

أضافَ النَّظمُ الكريم لفظَ (الرَّبِّ) إلى ضميرِ المُخاطَب في قولِهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾؛ للدّلالة على "تَشْريفِ النَّبيّ ﷺ وتَقْريبِهِ، وفيهِ تَعْريضٌ بأنَّهُ يَرُبُّهُ ويَرْأفُ بِهِ"[5]، كما دلّتِ الإضافة على تمييزِ الرّبِّ المُستحِقِّ للعبادةِ عن الأربابِ الباطلةِ المَزعومة، ففيه تعريضٌ بتلك الأربابِ الّتي لا تستحِقُّ الصَّلاة لها وتقديمَ النُّسُك لأجلِها.

التَّمييزُ للرَّبِّ العظيم والتَّشريفُ للنَّبيِّ الكَريم

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 387.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 319.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 319.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 322.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 574.

نكتةُ عطفِ الأمر بالنَّحر على الأمر بالصّلاة:

اقتران العبادات البدنيّة بالعبادات الماليّة الدّالة على الإيمان بربّ البريّة

عطفَ النَّظمُ الكريمُ الأمرَ بالنَّحر على الأمرِ بالصَّلاة في قولِهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾؛ للدّلالة على الجمعِ والاقتران بينَ فِعلي الطّاعة من الصَّلاة والنَّحر لله تعالى وحدَهُ، وبذلك العطفِ تحقّقَ مجموعُ الأمر بالطّاعات القلبيَّة والبدنيَّة، والطّاعات السلوكيّة والماليّة، فإنَّ الصَّلاة إدخالٌ للخُشوع والارتباطِ بالله تعالى، والنّحرَ إخراجٌ للمال وحبِّه منَ القلب، كما أنَّ كلا الفعلين مختصٌّ بالله تعالى، فيفيدُ العملَ القلبيَّ المعبَّر عنه بالإيمانِ والتَّصديق؛ إذ المُحفِّزُ للطّاعتين المذكورتينِ هو التَّقرُّبُ للرَّبِّ الكريم وحدَهُ.

بلاغة استعمال مفردة النّحر بين الحقيقة والمجاز:

المقصدُ منَ النَّحر مواجَهةُ مَشاكِلِ الفَقْر

آثر النّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بمفردة النّحر دون الذّبح، وذلك بأنْ أُطلِقَ النّحرُ وأُريدَ به مطلقُ الذَّبح، فيكونُ مَجازًا مُرسَلًا من ذكرِ الخاصِّ وإرادةِ العامِّ[1]، أوِ استعارةً بأنْ شبَّه ذبحَ الأضاحي بالنَّحر، أوْ تغليبًا للنَّحْر على الذَّبح؛ ترغيباً في التَّصدُّق بالكثير، "وَهوَ الَّذي روعيَ في تَسْميَةِ يَوْم الأضْحَى يَوْمَ النَّحْر"[2]، أوْ خصَّ النّحر دونَ الذَّبح بالذِّكر؛ لأنَّ البُدنَ من خيار أموالِ العرَب[3]، أوْ أطلقَ النّحرَ وأُريدَ به الزَّكاةُ بجامعِ الإنفاق والإعطاءِ في كلٍّ على سبيلِ الاستعارة التَّصريحيَّة، فيكون أمرًا بالصَّلاة والزَّكاة، إذ الصَّلاة رابطةٌ مع الخالق والزّكاةُ رابطةٌ مع المخلوق، وتلك وظيفةُ الرُّسُل في التّوسُّط بين الخالقِ والمَخلوق، أوِ المرادُ بفعل الأمرِ ﴿وَٱنْحَرْ﴾ وضَعِ اليدينِ على النَّحر في الصَّلاة أوْ توجَّهْ بالنّحر للقِبلة[4]، فيكون من عطفِ هيئةٍ في الصَّلاة على مُطلَقِ الصَّلاة، ولا يخفى أنَّه وجهٌ بعيدٌ وغريبٌ في ظاهِرِ اللَّفظ.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 461.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 575.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 460.
(4) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 381.

توجيهُ الأمر بالنّحر دون الزّكاةِ:

قطعُ العَلائق النَّفسيَّة عن لـذّات الدُّنيا الدَّنيَّة

جرت عادةُ القرآنِ إيلاء إقامةِ الصلاة بإيتاءِ الزّكاة، وهنا أمرَ بالنّحر دون الزّكاة، فعلى "قَوْلِ مَنْ قالَ: المُرادُ مِنَ الصَّلاةِ صَلاةُ العيدِ، فالأمْرُ ظاهِرٌ فيه، وأمّا عَلَى قَوْلِ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى مُطْلَقِ الصَّلاةِ فلِوُجوهٍ؛ أحَدُها: أنَّ المُشْرِكينَ كانَتْ صَلَواتُهُمْ وقَرابينُهُمْ لِلْأوْثانِ، فقيلَ لَهُ: اجْعَلْهُما للّه، وثانيها: أنَّ مِنَ النّاسِ مَنْ قالَ: إنَّهُ ﷺ ما كانَ يَدْخُلُ في مِلْكِهِ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيا، بَلْ كانَ يَمْلِكُ بقَدْرِ الحاجَةِ، فلا جَرَمَ لَمْ تَجِبِ الزَّكاةُ عَلَيْهِ، أمّا النَّحْرُ فقَدْ كانَ واجِبًا عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ: «ثَلاثٌ كُتِبَتْ عَلَيَّ ولَمْ تُكْتَبْ عَلَى أُمَّتي الضُّحَى والأضْحَى والوِتْر»[1]، وثالِثُها: أنَّ أعَزَّ الأمْوالِ عِنْدَ العَرَبِ هوَ الإبِلُ فأمَرَهُ بنَحْرِها وصَرفِها إلَى طاعَةِ اللّه تَعالَى؛ تَنْبيهًا عَلَى قَطْعِ العَلائقِ النَّفْسانيَّةِ عَنْ لَذّاتِ الدُّنْيا وطَيِّباتِها"[2].

دلالةُ حذفِ متعلَّق فعل (انحَرْ):

كمالُ الطَّلب في بَذْلِ أنفَسِ أموالِ العَرَب

حذفَ النَّظمُ الكريمُ متعلَّقَ فعلِ الأمر (انحَر) في قولِهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾؛ لدلالةِ النَّحر عليهِ المُختصِّ بنَحْرِ البُدن والجِمال، وليتسنَّى حملُهُ عندَ الحذفِ على التَّضحية والذَّبح مَجازًا فيعمَّ المقصود جميع الأضاحي، ولما في الاقتصارِ عليهِ عندَ التَّجوُّزِ من دلالةٍ على بذلِ خيرِ الأموالِ وكرائمِها عندَ العرَب.

فنُّ الاكتفاءِ ودلالته:

التَّعريضُ بالمُشركين في تقديمِهم للأصنامِ القَرابين

اكتفى النَّظمُ القرآنيُّ بذكرِ مُتعلِّقِ الصَّلاة على ذكرِ مُتعلِّقِ النَّحر في قولِهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾؛ لدلالةِ العَطْفِ عليه؛ والتَّقديرُ: (وانحَرْ لهُ)[3]، "وَهوَ إيماءٌ إلَى إبْطالِ نَحْرِ المُشْرِكينَ قُرْبانًا لِلْأصْنامِ"[4].

(1) أخرجه أحمد، مسنده، برقم: (2050)، ويُنظر: ابن حجر، التلخيص الحبير: 3/ 255.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 319.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 387.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 575.

بلاغةُ الكِناية ودلالتها:

عُلوُّ أمرِ الدّين وزوالُ الخَوْفِ عنِ المُسلمين

كنَّى النَّظم القرآنيُّ بالأمرِ بالنَّحر في قولِهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ عنِ البشارة بحصولِ الدَّولة وزوالِ الفقر والخوفِ عن الأُمّة؛ لأنَّ السّورةَ مكيَّةٌ على أرجحِ الأقوال[1]، بقي أنَّ الأمرَ وإنْ لم يدلَّ على التّكرارِ وضْعًا إلا أنَّ دلالة التّكرارِ حصلَتْ بقرينة ضمِّ النّحر للصَّلاة الّتي طُلِبَ تكرارها؛ للدَّلالةِ على أنَّ النّحر مطلوبٌ عملُهُ على سبيل التَّكرار، وذلك مُشعِرٌ بكونِ هذا الدّين يعلو أمرُهُ حتى إنَّ النّحر يكون من سِمات التَّعبُّدِ فيه ببذل كرائمِ الأموال لأجلِ التَّصدُّقِ بها.

علَّة فصلِ الجملة:

مِن تمامِ النِّعمة قـهـرُ الـعـدوِّ بالذِّلَّة

فصلَ النَّظمُ الكريم قولَهُ تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ عمّا قبلَهُ، وهو يحتمل "أنْ يَكونَ اسْتِئْنافًا ابْتِدائيًّا، ويَجوزُ أنْ تَكونَ الجُمْلَةُ تَعْليلًا لِحَرْفِ ﴿إِنَّ﴾ إذا لَمْ يَكُنْ لِرَدِّ الإنْكارِ يَكْثُرُ أنْ يُفيدَ التَّعْليلَ"[2]، فبعد "أنْ بَشَّرَ اللّه رسولَهُ بأعظمِ البِشارة، وطالبَهُ بشُكْرِه على ذلك، وكانَ من تمامِ نِعمتِهِ على نبيِّهِ أنْ يُصبحَ عدوُّهُ مَقهورًا ذليلًا"[3].

دلالةُ التَّوكيد بحرف ﴿إِنَّ﴾:

النّبيُّ المَحبوب يُـزالُ عنهُ الأذى والكُروب

عبَّرَ النّظمُ الكريمُ بـ﴿إِنَّ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾؛ للدّلالة على تأكيدِ الحُكم وتقريرِهِ؛ ردًّا على مَن يشكُّ في ذلك الحكم أوْ يُنكِرُه، وفي هذا التّأكيدِ إيناسٌ للنّبيِّ ﷺ وتسليةٌ عمّا في قلبِهِ مِن كُدورات الإيذاءِ معَ حرصِهِ على التَّبليغِ والدَّعوة.

دلالةُ التَّعبيرِ باسم الفاعل:

البُغضُ المُستمِرّ مُـؤَذٍّ لـلـقَـطـعِ والبَتْر

عبَّرَ النَّظمُ الكريم باسمِ الفاعلِ (شانئ) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾؛ للدّلالة بصيغتِهِ على اتِّصاف الذّاتِ بالبُغض

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 320.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 575.
(3) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2032.

للنّبيِّ الكريم ﷺ وللحقِّ الَّذي جاءَ به على سبيلِ الاستمرار، وكأنَّه لا ينفكُّ بغضُهُ يتجدّدُ مُستمِرًّا، وليدلَّ بمادته على البُغض الشَّديد.

نكتة استعمال مفردة (الشّانئ) دون المبغض:

تـنـزُّهُ الـرّسـول عن صفاتِ عدمِ القَبول

آثر النّظمُ الكريمُ استعمال مفردة الشّانئ دون المُبغِض في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾؛ لأنَّ للمُبغِض أسبابًا تؤدّي به إلى البغضِ الشَّخصيِّ المُتعلّقِ بشخصِ المَبغوضِ وذاتِهِ، بخلافِ الشّانئِ الَّذي يبغُضُ بلا سببٍ متعلّقٍ بالشّخص، وفي ذلك إشارةٌ إلى عدمِ وُجودِ سببٍ طبعيٍّ لكرهِهِ ﷺ؛ لما كان يتمتّعُ بهِ مِن خصالٍ شريفةٍ وكريمةٍ وطبيعةٍ حسنةٍ وعَذْبةٍ، "وشانِئوهُ ما كانوا يَبغضونَهُ لشَخصِهِ؛ لأنَّه كان مُحبَّبًا إلى نفوسِهِم، بل كانوا يَمقتونَ ما جاءَ به من الهُدى والحِكمة؛ لأنَّه سفَّهَ أحلامَهُم وعابَ مَعبوداتِهم، ونادى بفراقِ ما ألِفوهُ ونَشأوا عليه"[1].

دلالةُ التّعبير بالوصف دون العَلَم:

العِبرةُ بعُموم اللَّفظ لا بخُصوصِ الشَّخص

آثر النّظمُ الكريمُ ترك التّصريح باسم الشّانئِ باسمِهِ العلَم إلى الوصفِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ وهو خلاف ما جاءت عليه سورة المسدِ؛ للدّلالة على العُموم؛ إذ الحكمُ المذكورُ مُتحقِّقٌ في كلِّ مَنِ اتَّصف بتلك الخَصلة وهي البُغضُ للنّبيِّ ﷺ، فيكونُ التّصريحُ بالعلَم ملتقيًا مع إرادةِ العُموم المقصودِ، فهو "يَشْمَلُ كُلَّ مُبْغِضٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ؛ فكُلُّهُمْ بُتْرٌ مِنَ الخَيْرِ ما دامَ فيهِ شَنَآنٌ لِلنَّبي ﷺ، فأمّا مَنْ أسْلَموا مِنْهُمْ فقدِ انْقَلَبَ بَعْضُهُمْ مَحَبَّةً لَهُ واعْتِزازًا بِهِ"[2]، كما أفادَ التّعليلَ للحُكم؛ إذ تعليقُ الحُكم بالمشتقِّ يدلُّ على عليَّةِ مَبدئِهِ[3].

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 383.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 577.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 461.

نوعُ الإضافةِ ودلالتها:

كُـزْةُ الـرَّسـول الأمين مُروقٌ منَ الدّين

أضافَ النّظمُ الكريمُ لفظَ (الشانئ) إلى ضميرِ المُخاطب العائدِ إلى النّبيِّ الكريم ﷺ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، والإضافة بمعنى اللّام، فهو شانئٌ لك بسبب دعوتك، وللدّلالة على استبشاعِ ذلك الشّانئِ وصَنيعِهِ؛ لأنَّ شنأهُ وبُغضَهُ تعلَّق بك أيُّها النَّبيُّ الكريم، وفي نسبةِ تلك الذّات إلى ضميرِ النّبيِّ ﷺ بالبُغض إشارةٌ إلى جُرمِه الشَّنيع وكُفره الصَّريح؛ لأنَّ محبَّة هذا النّبيِّ الكريم من الإيمانِ، فيكونُ البغضُ سببًا للكفر والمُروقِ عن الدّين.

عُـمـومُ الـزَّمـان أنـسَـبُ لـدلالـةِ المَقام

والإضافة تحتمل أن تكون معنويَّةً؛ بأنْ يكونَ الشّانئُ بمعنى الماضي، وقد أُضيفَ إلى المعرفةِ فيكونُ مُستفيدًا للتّعريفِ بالإضافة أوَّلًا، ولتحقُّقِ البُغض على سبيلِ القطعِ بالحُصول لكونِهِ ماضيًا معنىً ثانيًا؛ إذ الحكمُ بـ(الأبتر) يتّسقُ معَ مَن تحقَّق فيه وصفُ البُغض ماضيًا، وتحتمل أن تكونَ الإضافةُ لفظيَّةً بأنْ يكونَ الشّانئ بمعنى الحال والاستقبال، فلا يَستفيد تعريفًا من الإضافةِ بل مُجرّدُ التّخفيف، والّذي يبدو أنَّ الشّانئ هنا بمعنى عمومِ الزمانِ، فهو ماضٍ بالنِّسبة لمَنِ اتَّصفَ بذلك قبلَ زمنِ النُّزول، وبمعنى الحالِ والاستقبال لمَنِ اتَّصفَ بذلك على سبيلِ التّجدُّدِ والحُدوث.

فائدة التّعبيرِ بضميرِ الفَصل:

قـصـرُ حُـكـمِ الكَلام للرّدّ على ذلك الإيلام

أفاد ضميرُ الفَصْل الغائبِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ قَصْرَ صِفَةِ ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ عَلَى المَوْصوف وهوَ شانئُ النَّبي ﷺ، قَصْرَ المُسْنَدِ عَلَى المُسْنَدِ إلَيْهِ، وهوَ قَصْرُ قَلْبٍ، أيْ هوَ الأبْتَرُ لا أنْتَ"[1].

بلاغةُ استعمال مفردة ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾:

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بلفظِ ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 576.

التّعبيرُ باللّفظ المُطلَق مناسِبٌ للكُفر المُحقَّق

﴿ٱلۡأَبۡتَرُ﴾؛ للدّلالة به على مُطلقِ الانقطاعِ الشّامل لانقطاعِ النّسَب إلى الكُفّار الشّانئينَ للنّبيِّ ﷺ وانقطاعِ الذِّكْرِ الحسَن ووصفِهم بنُعوت القُبح، وانقطاعِ الكُفر الَّذي يَحملونَه في جوانِحِهم، و"معنى البَتْر في اللُّغة: استئصالُ القطع، يقالُ: بتَرْتُهُ أبتُرُه بَتْرًا، أي صارَ أبترَ، وهو المقطوعُ الذّنَب، ويقالُ للَّذي لا عَقِبَ له أبترُ، وكذلك للمُنقطِعِ عن الخير، وقال أبو إسحاق: جائزٌ أن يكون الأبترُ هو المنقطِعَ العقب، وجائزٌ أنْ يكون المنقطِعُ عن كلِّ خير، وقال أهلُ المعاني: الأبترُ هو الَّذي ينقطِعُ ما هو عليه من كُفرِه بموتِه فكان الأمرُ كذلك، وأمّا أمرُ النّبيِّ ﷺ فإنَّه ظهرَ واستفاضَ حتَّى ظهرَ على الدّينِ كلِّه"[1].

معنى تعريف لفظِ ﴿ٱلۡأَبۡتَرُ﴾:

انحصارُ حقيقةِ البَتْرِ في مُخاصم الذِّكْر

عرَّفَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾؛ للدّلالة على الجنس، أي إنَّ مُبغضَكَ هو الَّذي انحصرَ فيه هذا الوصفُ بحقيقتِه وكمالِه، كما أنَّ (اللّام) "في ﴿ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ للقصرِ، تفيدُ الحصرَ الإضافيَّ، أي بالنِّسبة إلَى النَّبيّ ﷺ لا حصرٌ حقيقيٌّ"[2].

مُحسِّنُ فنِّ الاستخدامِ:

الأبترُ الحقيقيّ هو المتَّصفُ بفقدانِ القيَم والأخلاقِ

مَعْنَى ﴿ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ الَّذي لا خَيْرَ فيه، وهوَ رَدٌّ لِقَوْلِ العاصي بْنِ وائِلٍ أوْ غَيْرِه في حَقِّ النَّبي ﷺ، فبِهَذا المَعْنَى اسْتَقَامَ وصْفُ العاصي أوْ غَيْرِه بالأبْتَرِ دونَ المَعْنَى الَّذي عَناهُ هوَ حَيْثُ لَمَزَ النَّبيَ ﷺ بأنَّهُ أبتر، أي لا عَقِبَ لَهُ، ففي الآيَةِ مُحَسِّنُ الاسْتِخْدامِ التَّقْديريِّ؛ لأنَّ سَوْقَ الإبْطالِ بطريق القصر في قَوْله: ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ نَفْيُ وصْفِ الأبْتَرِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، لَكِن بمَعْنَى غَيْرِ المَعْنَى الَّذي عَناهُ شانِئُهُ، فهوَ اسْتِخْدامٌ يَنْشَأُ مِنْ صيغَةِ القَصْرِ؛ بناءً عَلَى أنْ لَيْسَ (الاسْتِخْدامُ) مُنْحَصِرًا في اسْتِعْمالِ (الضَّميرِ) في

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 382.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 462.

غَيْرِ مَعْنَى مُعادِهِ[1]، وفي هذا إرشادٌ قرآنيٌّ عجيب وتصحيحٌ للفهم الجاهليِّ البعيد، الَّذي يقوم على أنَّ فاقدَ الأولاد الأبتر، في حين أنَّ فاقدَ الذِّكر الحسَن والجميل هو الأبتر، والَّذي لا خيرَ فيه هو الأبتر.

بلاغة الاستعارةِ ودلالتها:

جميعُ المؤمنين أولادُ سيِّدِ المُرسَلين

استعارَ النّظمُ الكريم لفظَ ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ في قولِهِ تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ لفاقدِ الذِّكر الحسَن، "والأبترُ: الّذي لا عَقِبَ له، وهو في الأصلِ الشَّيءُ المقطوع، مِنْ بَتَرَه، أي: قطَعَهُ، وحمارٌ أبترُ: لا ذَنَبَ له، ورجلٌ أُباتِرٌ بضمِّ الهمزة: قاطعُ رَحِمه، وبَتِر هو بالكسرِ: انقطعَ ذَنَبُه"[2]، إذ شبَّه النّظمُ فاقدَ الذّكر والشَّمائلِ الطَّيِّبة بمنقطعِ الذَّنَب، بجامعِ الانقطاعِ وعدمِ استمرارِ الصّيتِ الطَّيّب؛ إذِ الولدُ والذُّرِّيَّةُ تكونُ كالذّيل للأبِ، ثمَّ حذفَ المشبَّه وأبقى المشبَّهَ به على سبيلِ الاستعارةِ التّصريحيَّة، والغرضُ من الاستعارةِ الحكمُ بالانقطاع من جهة العقب؛ إذ الإنسانُ بموتِهِ يخلِّفُ ولدًا وذِكْرًا حسَنًا، وأنتَ أيُّها الشّانئ سوف تخلِّفُ ولدًا، لكنَّك لنْ تخلِّفَ ذِكْراً حسنًا، والرّسولُ ﷺ سوفَ يخلِّفُ ولَدًا إذ جميعُ المؤمنين أولاده، وذِكْرًا حسَنًا يُقتدَى به[3].

دلالةُ التّعبيرِ بصيغةِ التّفضيل:

المُبغِضُ للنّبيِّ هو الأبترُ الحقيقيّ

عبَّر النّظمُ الكريم بصيغةِ التّفضيل في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾؛ للدّلالة على التّفرقةِ بينَ ما عابَ به النّبيَّ الكريم ﷺ وبينَ ما اتَّصف به في نفسِ الأمر؛ فإنْ كان المبتورُ هو مقطوعَ الأولاد الذّكور فإنَّ المؤمنينَ جميعًا هم أولادُ النّبيِّ ﷺ، وإنْ كان المبتورُ مقطوعَ الذِّكر بين النّاسِ بسببِ عدمِ العَقِبِ للمتوفَّى من الذُّكور فإنَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 576 - 577.
(2) السّمين، الدّرّ المصون: 11/ 126، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 320.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 576.

النّبيَّ الكريم مرفوعُ الذِّكر في العالمين، ولذا فإنَّ صيغةَ التّفضيل ليستْ على حقيقتها من الدّلالة على المُشاركة والزّيادة، بل المبالغةِ في بَتْرِ العائِب وبيانِ انقطاعِ نسَبِه وعدمِ الانتساب إليه حقيقةً، وأنَّه خاملُ الذِّكر، لا يُذكَرُ إلّا بنُعوت الشِّرك والقُبح، وهي كذلك لمحاكاة "قَوْلِ القائِلِ: (مُحَمَّدٌ أَبْتَرُ) إبْطالًا لِقَوْلِهِ ذَلِكَ"[1].

فنُّ الأسلوب الحَكيم:

تصحيحُ المفاهيم من ضَرورات التّشريعِ وبيانِ قيَم الدّين

لمّا كانَ عُرْفُ الجاهليّين في وصْفِ ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ أنه الَّذي لا عقب لَهُ، "تَعَيَّنَ أنْ يَكونَ هَذا الإبْطالُ ضَرْبًا مِنَ الأُسْلوبِ الحَكيمِ، وهوَ تَلَقّي السّامِعِ بغَيْرِ ما يَتَرَقَّبُ بحَمْلِ كَلامِهِ عَلَى خِلافِ مُرادِهِ؛ تَنْبيهًا عَلَى أنَّ الأحَقَّ غَيْرُ ما عَناهُ مِنْ كَلامِهِ، وذَلِكَ بصَرْفِ مُرادِ القائِلِ عَنِ ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ الَّذي هوَ عَديمُ الابْنِ الذَّكَرِ إلَى ما هوَ أجْدَرُ بالاعْتِبارِ وهوَ النّاقِصُ حَظَّ الخَيْرِ، أي: لَيْسَ يَنْقُصُ لِلْمَرْءِ أنَّهُ لا ولَدَ لَهُ؛ لِأنَّ ذَلِكَ لا يَعودُ عَلَى المَرْءِ بنَقْصٍ في صِفاتِهِ وخَلائِقِهِ وعَقْلِهِ، وهَبْ أنَّهُ لَمْ يولَدْ لَهُ البَتَّةَ"[2].

دلالة المقابلة الضّدّية بينَ (﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ و﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾):

شأنُ النّبيِّ أن ينالَ الكوثَر وشأنُ مُبغضِهِ أن يكونَ الأبتَر

استعمل النّظمُ الكريم أسلوبَ الطِّباق[3] بين قولِه: ﴿أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ وقولِه: ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾؛ للدّلالة على كمالِ الكرَمِ الإلهيِّ بالنّبيِّ ﷺ؛ إذ منحَهُ الكوثرَ من كلِّ شيءٍ؛ فالمؤمنونَ أولادُهُ، وذكرُهُ الجميلُ على كلِّ لسانٍ مُنصِف، ودينُهُ مستمرٌّ وباقٍ إلى يومِ القيامة، وللدّلالةِ على كمالِ القَبضِ الإلهيِّ لأعدائِه، فهم مُنقطعو النّسَب والوَجاهةِ والدّين بعدَ موتِهم؛ "لذا قوبِلَ تعبيرُهُ له بـ(البَتْر) بما يضادُّه؛ فإنَّ الكثرةَ تضادُّ القلَّة، فلو قيلَ: (إنّا أعطيناك حوضًا أوْ نَهْرًا صفتُهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 576.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 576.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 387.

كذا) لم يُطابِقْه ولم يُشاكِلْه؛ فلذا اخْتيرَ اسمٌ يتضمَّنُ الخيرَ الكثيرَ المضادَّ للبَتْر ممّا له في الدُّنْيا، ممّا يجمَعُه لفعلِ الكوثرِ ويَشْمَلُهُ"[1].

نكتةُ ترك فعل (قُلْ):

مِـن أجَـلِّ الكَرامات الدِّفاعُ عن النَّبيِّ بأشدِّ العِبارات

ترك النَّظم الكريمُ التّعبيرَ بلفظِ (قُل) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، فلم يقل: (قُلْ إنَّ شانئك هو الأبتر)؛ لبيانِ مَكانةِ النّبيِّ الكريم ﷺ عندَ ربِّه، فهو الَّذي يتولَّى إجابةَ الشّاتمينَ عنه، ولا يُكلِّفُه ردَّ الشَّتيمة عن نفسِه، قال الرازي: "الكُفّارُ لَمّا شَتَموهُ، فهوَ تَعالَى أجابَ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ واسِطَةٍ فقالَ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، وهَكَذا سُنَّةُ الأحْبابِ، فإنَّ الحَبيبَ إذا سَمِعَ مَنْ يَشْتُمُ حَبيبَهُ تَوَلَّى بنَفْسِهِ جَوابَهُ، فهَهُنا تَوَلَّى الحَقُّ سُبْحانَهُ جَوابَهُمْ، فما أجَلَّ هَذِهِ الكَرامَةَ[2].

نكتةُ العُمومِ والإطلاق في السّورة:

التَّبشيرُ والإنذار للأخيار والأشرار

عبّر النّظمُ الكريم بألفاظٍ تفيدُ العمومَ في السّورة بأكملِها، فإنَّ ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ اسمٌ أو وصفٌ دالٌّ على العُموم الصّادق بأفرادٍ كثيرةٍ، ولذا لم يقُل (نهرَ الكَوثر)، و﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ طلبانِ مُطلقانِ غيرُ مخصَّصينِ بصلاةٍ بعينِها أوْ نحرٍ بعينِه، و﴿شَانِئَكَ﴾ يصدقُ بكلِّ مُبغض، و﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ حكمٌ يصدقُ بكلِّ مَقطوعِ الذِّكْر والخَير، والغرضُ من العُموم والإطلاقِ تحقيقُ التَّبشير المُطلَقِ والإنذارِ المُطلَق، حتّى ينتفِعَ بالتّبشيرِ كلُّ من سارَ على خُطى النّبيِّ الكريم، ويرتدِعَ المُبغِضون أيّاً كانوا وفي أيِّ وقتٍ يكونونَ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّحرُ والذّبحُ والشّقُّ:

النّـحـرُ أخـصُّ مُطلقًا من الذَّبح

النّحرُ قطعٌ في الحَلقومِ منَ الحيوانِ بذَبْحٍ أوْ طعنٍ، والذّبحُ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 20/ 459.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 321.

أعمُّ من أنْ يكونَ مِن حيوانٍ أوْ مِن غيرِهِ، والشّقُّ أعمُّ من أنْ يكونَ بانفصالٍ وتفرُّقٍ أم لا، وفي حيوانٍ أوْ غيرِهِ، وهو مطلقُ حصولِ انفراج في مادّيٍّ أوْ معنويٍّ[1].

الشّنْءُ والبُغضُ والعَداوة:

الشنءُ البغضُ معَ الكراهةِ والتّجنُّب، ومِن لوازمِ هذا المعنى في بعضِ المَوارد الإقرارُ والاعترافُ بأمرٍ يُتنَحّى عنه ويُريدُ التّجنُّبَ عنه، أوْ كونُ شخصٍ سيّئَ الخلُق بحيثُ يوجِبُ التّجنُّبَ عنه، والبغضُ خلافُ الحبّ، وإذا اشتدّ يكونُ عَداوةً[2].

الشّنءُ أخصُّ منَ البُغض، والبغضُ عندَ الاشتدادِ يصبِحُ عَداوةً

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 12/ 51.
(2) المصطفويّ، التّحقيق في الكلمات القرآنيّة: 6/ 129.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"